

السبت 13-12-2008

470- نجيب محفوظ: بداية بلا نهاية

تعتة

"أخلق بذى الصبر أن يحظى مجارته، ومدمن القرع للأبواب أن يلجا".

أدمنتُ قرع كل باب منذ أرسلت الاقتراح بإصدار دورية فصلية متخصصة في نقد أعمال نجيب محفوظ، أرسلتها للمرحوم أ.د. عز الدين إسماعيل بتاريخ أول نوفمبر سنة 1988، بعد تشريف جائزة نوبل بحصول شيخنا محفوظ عليها. أخيراً، وبفضل لجنة الحفاظ على تراثه وفضل الله، تقرر إصدارها حولية تمهيدا لأن تكون فصلية، على أن يتولى رئاسة تحريرها ذلك المثابر الشامخ المبدع الطيب القوى: جابر عصفور، كما يتولى سكرتارية تحريرها الإبن الناقد الملتزم د. حسين حمودة. يا خير!!! الحمد لله! ما هي تظهر أخيراً بعد عشرين عاماً بالتمام. طلب منى الإبن الصديق د. حسين حمودة أن أسهم في العدد الأول بلمحة عما أعرفه عن أية بداية مارسها محفوظ وعاشتها معه، فرأيت أن أقتطف مما كتبت لهذه الحولية بعض المقتطفات الدالة بمناسبة عيد ميلاده الموافق يوم باكر 11 ديسمبر 1911.

المقتطف الأول

... براوغنا نجيب محفوظ عادة وهو يلوح لنا بأن ثمة نهاية، لكننا نكتشف دائماً أنه لا ينتهى إلا ليبدأ.

المقتطف الثانى

..... المعروف عن نجيب محفوظ أنه شديد الانضباط فى حياته اليومية، وكأن اليوم يتكرر عنده مجدافه، اكتشفت أنه ليس تكراراً وإنما هو محاولة إحاطة بقفز البدايات من محيط الإبداع، نجيب محفوظ يبدأ جديداً فى كل ما يأتى ويبدع.

المقتطف الثالث

..... أتيج لى أن أرى بداية من بداياته الجديدة القديمة، بداية معاودته الكتابة ضد كل التوقعات والخسابات العلمية والعملية، تعلمت ما لم أكن أتصوره، علماً وواقعاً. عايشته وهو يعيد تأهيل نفسه ليبدأ الكتابة من جديد حتى انتصر على الإعاقه بتدريب يومى طوال خمس سنوات، .....

السنة الأولى كنت أفرح فرحا لا يحفى حين أجد أن أقرأ حرفا واحدا بين كل ما "شخبط"، بدأت الحروف تتميز في شكل هلامي أسفل يسار كل صفحة. لم أسأله، تبينت بعد شهر طويلة أنه توقيع، اسمه، لكن ماذا تحت ما يشبه التوقيع، أشكال أخرى ليست حروفا، وبعد شهر تبينت أنها أرقام. ثم بعد عام وبعض عام عرفت أنه تاريخ اليوم الذى كتب فيه "الواجب". وكان يشاركنى فرحتى وأنا أبلغه بعض ما نحدث في قراءته، أعنى كنت أشاركه فرحته، وحين استطاع بعد أكثر من عامين أن يكتب جملة على بعضها كان هذا هو عيدنا الكبير، ورحت أميز في بعض الصفحات "رب اشرح لى صدرى"، "إن الله مع الصابرين"، "سبحان الملك الوهاب"، وكذلك: "سالمة يا سلامة"، "خفيف الروح بيتعجب"، ثم تحت اسمه أيضا ليس في أسفل الصفحة، ما هذا؟ إنه يسبقه اسم آخر، آه!! هذا هو: إنها فاطمة نجيب محفوظ، أم كلثوم نجيب محفوظ، فأدعو لهما وله.

#### المقتطف الرابع

..... بعد مخاض طويل صعب، تمت ولادة الأولاد الحروف والبنات الكلمات، فبدت الأحوال جاهزة للتقارب معا لتصنع إبداعا جديدا، تبينت أنه أصبح قادرا على أن يصوغ أفكاره هو، وليس فقط أن يحط اسمه أو اسم إحدى كريمتيه أو آية قرآنية كريمة، تأكدت أنه على وشك أن "يعملها"، تجرأت فسألته، هل ثم شئ في الطريق؟ أجابنى مبتسما وهو يشير إلى دماغه أنه يشعر "بنغبشة" ربما يتمخض منها شئ ما، وقد كان، فكانت "أحلام فترة النقاها".

هذه الذرية الجميلة لم يكن يمكن حبسها في حجرته أو أدراج مكتبه، فجاءت حفلة السبوع الجماعية صاحبة حين ظهرت أولى أحلام فترة النقاها للناس في مجلة أسبوعية (نصف الدنيا).

#### المقتطف الأخير

... حتى الموت لم يستطع أن يبلغنى منه أى معلم من معالم آية نهاية.

حين أشفق شيخنا علينا فلم يستأذنا وهو يختار أن يرجع إليه ليرضى "... وعجلت إليك رب لترضى"، رضى الله عنه فرضى عنه، رحى أعيش جزع الفقد ولوعة الفراق، لكن لم يخطر ببالي أبدا أنها النهاية، أو أنه الموت أصلا، كان بداخلى يقين أنها ليست إلا بداية جديدة، فقط هى بداية معالمها ليست فى متناولنا "الآن".

ينتقل الوعى الفردى إلى الوعى الكونى إلى وجهه الله تعالى، فأين النهاية!!؟!

إلى هذه البداية كان شيخنا يسعى طول عمره حتى تحقق له ما أراد،

فإذا لم يكن فى مقدورنا أن نخطط بإبداعه الجديد هذا "الآن"، فلنشحن أدوات كدحنا، ونحن نقتفى بداياته المتجددة أبدا، أعنى بداياتنا، ربما يصلنا بعض ما تيسر مما أراد توصيله بكل ما "كان" وما "فعل" و"يفعل" و"نفعل"!!..!!